الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

الهجرة الداخلية للعشائر العراقية في الوسط والجنوب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر

د . عبد الجبار منديل
أكاديمي / كوبنهاغن

لم يكتب عن الهجرة الداخلية للسكان وحركة العشائر العراقية في وسط وجنوب العراق الا النزر اليسير. ومرد هذه الشحة بالمصادر الى تفشي الجهل آنذاك والفوضى التي تضرب اطنابها في كل انحاء العراق، مع تدني مستوى الثقافي وعدم وجود دولة بالمعنى الحقيقي وانما كانت فترة انتقالية للحكم من ايدي المماليك الذين زالت دولتهم بحلول ١٨٣٠ بعد ان كانت تعاني سكرات الموت خلال قرن من الزمان، وعودة السيطرة العثمانية وان كانت هي الأخرى على المدن الرئيسية الثلاث في العراق (بغداد والبصرة والموصل) وتركت بقية مناطق العراق التي يعشش فيها الفقر والجهل والمرض دون رعاية او اهتمام.

من المصادر النادرة في هذا الباب كتاب الكاتب الإنكليزي (لونكريك) – (أربعة قرون من تاريخ العراق) وكذلك كتاب المؤرخ العراقي عباس العزاوي (العراق بين الإحتلالين) وكتابه الأخر (عشائر العراق) وكتاب رسول الكركوكلي (دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء) اضافة الى ما كتبه السياح الأجانب الذين زاروا العراق في تلك السنين واغلبها ملاحظات سريعة لا تعطي صورة واضحة. كما كانت هناك ايضا الحوليات العثمانية التي كانت تصدر من السلطة العثمانية وتنشر اخبارا قصيرة عن الاضطرابات الداخلية والتمردات التي تقوم بها العشائر العراقية. و مشكلة هذه الحوليات هو انها مكتوبة باللغة التركية القديمة التي كانت تستخدم الحروف العربية قبل ان يغيرها مصطفى كمال اتاتورك في العشرينيات الى الحروف اللاتينية. لذلك فإنه يصعب اعتبارها كمراجع في الوقت الحاضر.

كان العراق في هذين القرنين يغرق في فوضى حقيقية من افتقاد للإدارة الحكومية وغياب لأي شكل علمي مكتوب يرصد بدقة اوضاع البلد الداخلية الإجتماعية منها والإقتصادية والإدارية.

كانت العشائر تشكل اغلبية السكان في وسط وجنوب العراق خلال هذه الفترة وكان البدو الرحل يشكلون اكثر من نصف السكان. وكانت هذه العشائر منظمة في اتحادات غير ثابتة وغير دائمية. وكل اتحاد يعمل كوحدة سياسية ذات حكم ذاتي بشكل من الأشكال. وقد عززت الحملات العسكرية العثمانية ضد هذه العشائر روح الجماعة في هذه الإتحادات. وكانت اقدم هذه الإتحادات العشائرية في جنوب ووسط العراق هي المنتفق وزبيد والدليم والعبيد والخزاعل واتحاد شمر في عفك والدغارة وبني لام والبو محمد وربيعة وكعب. وكان ابناء العشائر الرحل هم البدو من مربي الإبل والأغنام، اما المستقرون فهم اما من المزارعين او من سكان الأهوار من مربي الجاموس والصيادين.

لقد نزحت اغلب هذه العشائر من الجزيرة العربية. واذا كان العراق منذ القدم – وقبل ظهور الإسلام – هو قبلة هذه العشائر بسبب توفر الماء والكلأ، فقد زادت حركة النزوح والهجرة خلال هذين القرنين ولاسيما بعد ظهور الحركة الوهابية واعلانها الحرب في عام ١٧٤٦ ضد كل اولئك الذين يؤمنون بمدأ الشفاعة والتبرك بأضرحة الأنبياء والأولياء والأئمة باعتباره شركاً بالله وكذلك ضد كل اولئك الذين لا يشتركون معها في مفهوم التوحيد معتبرة اياهم كفارا مرتدين عن الدين يستحقون القتل ما لم يتبنوا المفهوم الوهابي.

لقد هاجرت الى العراق خلال هذه الفترة الكثير من العشائر مثل شمر طوقة وشمر جربة وعنزة والظفير وغيرهم.

وقد لعبت المدن المقدسة (النجف وكربلاء) دورا مهما في حركة العشائر داخل العراق كما لعبت حركة المياه وتحولات الأنهار باتجاه هذه المدن نفس الدور.

يقول الرحالة البرتغالي (بيدرو تيكسيرا) الذي زار النجف في عام ١٦٠٤ ان النجف مدينة خربة بسبب شحة المياه وعزلتها في الصحراء. فعدد سكانها لا يتجاوز ٥٠٠ نسمة آنذاك. وعلى الرغم من انه قد شقت قنوات من الفرات الى النجف في عهد الشاه اسماعيل الصفوي و الشاه طهماسب خلال الإحتلال الصفوي ثم في عهد الحاكم العثماني ابراهيم باشا (١٦٨١ – ١٦٨٣) فإن هذه القنوات قد جفت نتيجة للطمي.

في بداية القرن التاسع عشر استكمل حفر قناة الهندية التي ساعدت على امداد المدينة بالماء بشكل منتظم وعززت من دور النجف كمركز اكاديمي شيعي ومركز تسويقي عشائري ومركز جذب لإستقرار العشائر حول القناة الجديدة.

اما بالنسبة الى كربلاء فقد تمتعت بإمدادات المياه بشكل افضل نسبيا من النجف. ففي اعقاب الإحتلال العثماني عام ١٥٣٣ امر السلطان سليمان الأول بشق قناة الحسينية لنقل الماء الى كربلاء. وكانت قناة الحسينية تنبع من الفرات قرب المسيب وحتى كربلاء.

ولكن بعد سنوات من اهمال تنظيف القناة جفت وعانت كربلاء مرة اخرى من شحة المياه. ولم تتمتع بإمدادات منتظمة من الماء الا بعد بناء سد في صدر قناة الحسينية في عهد والي بغداد العثماني حسن باشا (١٧٠٤ – ١٧٢٣) وبذلك ابتدأت تجتذب العشائر في مواسم زيارات الأئمة او كمركز للتسوق.

ان شق قنوات الري للمدينتين المقدستين لم يساهم فقط في بعث الحياة في هاتين المدينتين بل ساعد على جذب المزيد من العشائر للاستقرار كمزارعين قرب القناتين. وهذا ما كانت تهدف اليه السلطة العثمانية وهو تشجيع المزيد من القبائل الرحل على الاستقرار كمزارعين قرب القنوات المائية الفرعية.

لقد عملت السلطة العثمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على تشجيع استقرار العشائر ذلك ان قبائل الرحل كانت تهدد الأمن وتعيث بالأرض فسادا في حين ان المزارعين المستقرين هم اميل الى احترام القانون والخلود الى الحياة الهادئة بعيدا عن الغزوات والحروب التي لا تنتهي سواء بين القبائل البدوية نفسها او مع السلطات المركزية او قيامها باقتحام المدن وسلبها ونهبها حتى المقدسة منها.

في عام ١٧٠٦ هاجم حسن باشا بعض القبائل العابثة والتي هاجرت الى العراق منذ سنوات قليلة وبعد عدة سنوات من المعارك افلح في اقناع بعضها على الاستقرار ومنها شمر طوقة التي استقرت فيما بعد بالمنطقة الواقعة بين ديالى والكوت في حين استقرت عشيرة المسعود في المنطقة القريبة من كربلاء والمسيب.

وقد تم شق قناة الهندية في نهاية القرن الثامن عشر لتوفير المياه لمدينة النجف من ناحية وللمساهمة في استقرار العشائر من ناحية ثانية. حيث استغرق شق هذه القناة الفترة منذ ثمانينيات القرن الثامن عشر وحتى عام ١٨٠٣ بتمويل من الشيعة الهنود لذلك سميت الهندية. ولكن هذه القناة لم تساهم فقط في ازدهار مدينة النجف في القرن التاسع عشر بل وساهمت في احداث تغيرات اجتماعية وبيئية مهمة في جنوب العراق ووسطه. وكانت تتفرع من الفرات في منطقة تبعد عدة كيلومترات جنوب المسيب. وبعد سنة ١٨٦٠ بدأت تستنزف مياه الفرات بشكل تدريجي واخذ القسم الأعظم من مياه الفرات يتدفق في مجرى الهندية مغيرة مجرى نهر الفرات.

وفي عام ١٨٩٠ اقام العثمانيون سدا على مجرى النهر بهدف زيادة حصة نهر الحلة ولكن هذا السد فشل بالكامل بل انه بحلول عام ١٩٠٣ تسبب في توجيه كل مياه الفرات باتجاه قناة الهندية وبجفاف شط الحلة بالكامل تقريبا.

لقد كان لتغير مجرى النهر آثار اقتصادية واجتماعية خطيرة حيث اخل بالتوازن المائي التقليدي بين فرعي النهر الشرقي والغربي وادى ذلك الى هجرة سكانية واسعة من الديوانية والحلة والسماوة باتجاه فرع الهندية. ومن هذه العشائر بني حسن وبني مالك وبني زريج وخفاجة وال علي وال فرج والعوابد والحميدات وال ابراهيم وال فتلة وقريط. كما ان بعض العشائر هاجرت باتجاه العمارة والكوت، فقد جف نهر الحلة والديوانية ونهر الدغارة وعفك والفوار. ولم تعد المياه الى شط الحلة وشط الدغارة الا بعد استكمال بناء سد الهندية عام ١٩١٣ باشراف المهندس الإنكليزي (يلكوكس) وبذلك عادت بعض العشائر التي هاجرت في حين استقر القسم الاعظم في الأماكن التي هاجرت اليها.

ان كيان عشائر العراق لم يكن دائما موحدا وثابتا، فقد انشطرت قبيلة زبيد الى عشائر متعددة منها في نهاية القرن السابع عشر اتحاد عشائر الدليم واتحاد عشائر البو محمد والبو سلطان والجحيش. ثم انبثقت عشيرة كعب من ربيعة وعشيرة العبيد من العشائر الحميرية القديمة. ويعتبر الخزاعل وبني لام من العشائر التي انبثقت من قبيلة طي. وكانت قد سبقتها الى ذلك بقرون عشيرة شمر بفرعيها (شمر طوقة وشمر جربه). كما انبثقت من قبيلة شمر جربه عدة اتحادات عشائرية منها اتحاد عشائر شمر في عفك واتحاد عشائر الأقرع في الدغارة.

خلال القرن التاسع عشر استقر قسم كبير من عشائر العراق واتجه نحو ممارسة الزراعة على نهري دجلة والفرات وفروعهما. وفي حين ان عشائر بني تميم وفروعا من شمر والدفافعة وبني عامر قد اظهرا ميلا للاستقرار خلال ولاية داود باشا اخر ولاة المماليك (١٨١٦–١٨٣١) فإن استقرار باقي العشائر ازداد بعد ان تزايدت سيطرة العثمانيين المباشرة على العراق وتشجيعهم المزيد من العشائر على الإستقرار والإتجاه نحو الزراعة. وفي الوقت الذي كانت فيه نسبة البدو الرحل في العراق هي ٥٠٪ من مجموع الشكان انخفضت هذه النسبة لتصل الى ١٩٪ فقط عام ١٩٠٥.

لقد ازدادت عملية التمدن (تشكيل المدن) خلال الشطر الأخير من القرن التاسع عشر على ضفاف النهرين (دجلة والفرات) ومنها مدينتا العمارة والناصرية بعد ان كانتا قرى صغيرة. على الرغم من ان هناك مدناً تأسست منذ القرن الثامن عشر مثل السماوة والديوانية والحي والزبير وسوق الشيوخ.

لقد كان ارتباط العشائر بالأرض والمياه واستحداث مبدأ التسجيل العقاري (الطابو) في العهد العثماني الأخير بداية لتشكيل نمط جديد من انماط الملكية الزراعية هو النظام الإقطاعي وتحولت بعض بيوت رؤساء العشائر الى بيوت اقطاعية كبرى مثل بيت الياسين رؤساء عشيرة المياح الذين اصبحوا من كبار الإقطاعيين في الحي وبيت السعدون رؤساء المنتفق في الناصرية وكذلك الأمر بالنسبة الى بيت الحبيب رؤساء ربيعة في الكوت وبيت الجريان رؤساء البو سلطان في الحلة...الخ.

وعلى الرغم من ان طابع العلاقة قد تغير بين ابن العشيرة ورئيس العشيرة بالنسبة الى بعض العشائر حيث تحول رئيس العشيرة الذي استفاد من قانون الطابو العثماني وتحول الى اقطاعي وبذلك اصبحت العلاقة هي علاقة الفلاح المعدم بالمالك، فإن الأغلبية من العشائر بنت العلاقة على اساس صلة الرحم والدم وابناء العمومة بين ابن العشيرة وشيخ العشيرة على الرغم من امتلاك الأخير للأرض.

جمهورية ماركسية - لينينية تبحث عن ولي للعهد

د. عبدالله المدني

في الثامن من يوليو/ تموز ١٩٩٤ توفي فجأة مؤسس كوريا الشمالية وزعيمها المطلق وقائدها الأعظم ومعبود جماهيرها «كيم ايل سونغ» على اثر إصابته بنوبة قلبية عن ٨٢ عاما.

سيناريوهات مختلفة

وقتها تبارت وسائل الإعلام في الحديث عن مصير هذه البلاد في ظل غياب الرجل الذي ترأس حكومتها ما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٧٢ قبل أن يسيطر دون انقطاع بقبضة حديدية منذ عام ١٩٧٢ على الأمانة العامة لحزب العمال الحاكم والقيادة العليا للجيش الكوري الأحمر. البعض قال أن مصير كوريا الشمالية لن يختلف عن مصير دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي بمعنى تحررها من النظام الماركسي الاشتراكي وتبنيها للنظام الليبرالي التعددي. البعض الأخر تنبأ بحدوث صراع على السلطة ما بين ابني الزعيم الراحل غير الشقيقين «كيم جونغ ايل» و«كيم بيونغ ايل»، خصوصا وان الأخير كان قد أبعده والده إلى أوروبا ليعمل كدبلوماسي في سفارة بلاده في وارسو، تفاديا لاحتمالات تصادمه مع أخيه. كان هناك أيضا فريق توقع أن يتدخل الجيش فيمنع صعود «كيم جونغ ايل»، ليس فقط بسبب رعونته و تصرفاته الطائشة، وعدم وجود ما يشفع له في سيرته الذاتية من إنجازات وطنية مماثلة لإنجازات والده، وإنما أيضا بسبب ما قام به ضد الكثيرين من ذوي الرتب العليا داخل مؤسسة الجيش من فصل وتعنيف استنادا إلى رؤيته الخاصة بأنهم من البيروقراطيين الذين يسيئون إلى النظام ويهددون سمعته، وبالتالي يجب التخلص منهم.

كيم الابن مختلف كلياً عن كيم الأب

كان كيم ايل جونغ في نظر العسكر الكوري الشمالي لا يتمتع بأي من مزايا وسجايا والده الذي دخل المعتقلات في سن مبكرة لدفاعه عن المبادئ الماركسية وانشأ للغرض الأخير في حدود عام ١٩٢٩ رابطة للطلبة الماركسيين في جنوب منشوريا، وشارك في عام ١٩٣٥ مع الحركات الفدائية العاملة في شمال الصين تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني ضد القوات اليابانية، قبل أن يجتاز النهر الأصفر إلى الأراضي الروسية وينخرط في الجيش الأحمر السوفيتي، ويترقى في الرتب العسكرية حتى نهاية الحرب الكونية الثانية، ويؤسس من هناك الجيش الأحمر الكوري الشمالي الذي سيزحف لاحقا نحو شبه الجزيرة الكورية بمساعدة فنية وعسكرية من صين ماو وروسيا ستالين، ويستولي على معظم أراضيها، بما في ذلك الأراضي التي تشكل اليوم جزءا من تراب كوريا الجنوبية، قبل أن تتدخل الأمم المتحدة والولايات المتحدة لتدفعا به شمالا نحو المنطقة الحالية منزوعة السلاح. كان «كيم ايل سونغ» في نظر هؤلاء العسكر، معجزة زمانه، رغم كل الحرج الذي تسبب لهم فيه لعدم استطاعته مجاراة ما فعله نظيره الفيتنامي «هوشيه منه» لجهة خوض حروب التحرير الشعبية ضد «الإمبريالية» و نجاحه لاحقا في توحيد شطري الوطن المقسم.

العوامل التي ساهمت على انتشار السيناريوهات السابقة

ولعل ما ساعد في حينه على انتشار تلك السيناريوهات المشار إليها أعلاه أمران: الأول هو العزلة المريرة التي فرضتها كوريا الشمالية على نفسها منذ إنشائها بحيث صارت صنوا للغموض ومن الصعب إدراك ما يجري فيها. والثاني هو أن الإعلان عن استلام كيم الابن لجميع مقاليد الأمور خلفا لكيم الأب تأخر إلى الثامن من تشرين الاول /أكتوبر ١٩٩٧، مما أشاع باحتمال وجود صراع داخلي على النحو الذي ذكرناه سالفا. هذا الأمر الذي سرعان ما تبين انه كان متعمدا من اجل دفع الأعداء (عبارة يقصد بها كوريا الجنوبية والولايات المتحدة والغرب) إلى ضرب الأخماس في الأسداس.

عودة الحديث عن التوريث في كوريا الشمالية

اليوم وبعد مرور أكثر من عقدين على تلك الأحداث التي لم يتخللها أي انفراجات أو إصلاحات سواء على صعيد العلاقات مع الشطر الجنوبي أو على صعيد الإصلاح الداخلي – بل على العكس من ذلك دخلت أثناءها البلاد في نفق التحرشات العسكرية العبثية مع واشنطون وسيئول وطوكيو والغرب، في صور استعراضات للقوة في المياه الدولية وتهريب الأسلحة إلى جماعات ودول خارجة على القانون والاستمرار في برامج نووية مكلفة وتحدي المجتمع الدولي، الأمر الذي نجم عنه اضطرار الإدارة الأمريكية السابقة إلى إدراج نظام بيونغيانغ كما هو معروف في قائمة دول محور الشر. علاوة على ما سبق بيانه تحولت السلطة في عهد كيم الابن إلى سلطة أكثر مركزية عما كان في ظل أبيه بسبب قلة خبرته وطيشه وشكوكه فيمن حوله وعدم استماعه إلى نصائح مستشاريه، وهو ما انعكس أيضا بصورة سلبية على أحوال البلاد الاقتصادية فشاعت المجاعة وقلت موارد الطاقة المغذية لمحطات الكهرباء والمياه.

والحال، أنه بعد مرور أكثر من عقدين من غياب الزعيم المؤسس كيم ايل سونغ، يعود الحديث مرة أخرى حول من سيخلف ابنه «كيم جونغ ايل» في قيادة هذا البلد الغامض، خصوصا مع تسرب أنباء كثيرة من بيونغيانغ حول تدهور صحة الزعيم كنتيجة لشراهته في تناول الأطعمة والمشروبات الكحولية وممارسة الجنس ومشاهدة الأفلام السينمائية طوال الوقت (يقال أنه يحتفظ بأكثر من ٢٠ ألف شريط فيديو في قصره لروائع الأعمال السينمائية الأمريكية والإنجليزية والروسية والصينية واليابانية).

غياب الزعيم أغرق الجوار في الشائعات

وقد ترافقت هذه الأنباء مع غياب الرجل عن حضور مناسبات مهمة مثل عدم تواجده في مناسبة إشعال شعلة الدورة الاولمبية الأخيرة في نيسان/ ابريل عام ٢٠٠٨ وعدم ظهوره في العرض العسكري بمناسبة الذكرى الستين لتأسيس جيش الشعب الأحمر في ايلول/ سبتمبر ٢٠٠٨، وظهور تقارير كورية جنوبية حول عجزه عن المشي بسبب مرض السكر، فضلا عن صدور مؤلفات في اليابان تقول بأن الرجل الذي يظهر في بعض المناسبات ليس هو كيم جونغ ايل الحقيقي وإنما شبيه له استأجرته المخابرات الكورية الشمالية ليحل مكانه خوفا من اغتياله، أو للرد على شائعات واشنطن بأن حاكم بيونغيانغ مات بالسكتة القلبية.

كيم الأب أعدّ ولده جيداً لوراثته

وعلى خلاف ما جرى في عهد كيم الأب الذي حرص على إعداد ابنه الأكبر لخلافته، فدفعه إلى الانخراط في مجالات متعددة كدراسة الاقتصاد السياسي الماركسي وتعلم الفنون العسكرية والموسيقى، ومزاولة هوايات كثيرة مثل إصلاح الجرارات الزراعية والسيارات وأجهزة التلفزيون، وصحبه معه في جولاته في الأرياف والمناطق النائية والمصانع، وأرسله إلى الصين وروسيا لتعلم الصينية والروسية، علاوة على إرساله إلى مالطا زمن رئيس حكومتها الأسبق – اليساري دوم مينتوف- لدراسة الإنجليزية، قبل أن يجعله يصعد سالالم الحزب والجيش الأحمر والدولة خطوة خطوة ويحصد الألقاب مثل « «الزعيم الغالي» و «الزعيم المفكر» وصولا إلى التصريح علنا في عام ١٩٧٦ بأن ابنه « كيم جونغ ايل» هو وحده المسؤول عن كل الأمور الداخلية في البلاد.. خلافا لهذا، نجد أن كيم الابن لم يعد أيا من أبنائه لخلافته، وان كانت المصادر الكورية الجنوبية قد ألمحت مرارا بأنه يقترب من تسمية ابنه « كيم جونغ تشول» كخليفة له الأمر الذي دفع بعض مراقبي الشؤون الكورية من أمثال الأكاديمي كيم يونغ هيون للتصريح بأن قادة الجيش الأحمر المخضرمين من أمثال وزير الدفاع الأسبق «أو تشين يو» لئن كانوا في مقدمة الداعمين لما أراده زعيم الأمة في عام ١٩٧٢ حينما نصب ابنه كوريث على عرش كوريا الشمالية، فإنهم سيكونون هذه المرة بالمرصاد ولن يسمحوا باستمرار حكم سلالة آل كيم رغم سياسة عبادة الشخصية المتجذرة في المجتمع.

أقرب المرشحين لخلافة «كيم جونغ ايل»

والمعروف أنه إلى وقت قريب كان المرشح لزعامة كوريا الشمالية هو ابن كيم جونغ ايل الأكبر « كيم جونغ نام» لكن يبدو أن الأخير فقد الآن الحظوة بعد الفضيحة التي تورط فيها الأخير في مطار ناريتا الدولي في اليابان في عام ٢٠٠١، حينما أوقفته سلطات الهجرة اليابانية وهو يحاول دخول طوكيو بوثيقة سفر مزورة، من اجل زيارة مدينة الألعاب الأمريكية «ديزني لاند».

زيجات «كيم جونغ ايل» وأولاده

والمعلوم أن كيم جونغ ايل تزوج للمرة الأولى من «كيم يونغ سوك» ابنة احد الجنرالات المقربين من والده، تحت ضغط الأخير، لكنه لم يعاشرها معاشرة الأزواج مفضلا اللهو مع إحدى المحظيات (سونغ هاي ريم) التي أنجبت له في عام ١٩٧١ ابنه البكر «كيم جونغ نام». وحينما توفيت الأخيرة في ظروف غامضة في مصحة في الاتحاد السوفيتي في عام ٢٠٠٢ دون أن تحظ بالاعتراف، ظهرت محظية ثانية في حياة قائد الأمة المقبل وهي «كو يونغ هي» التي أنجبت له في عام ١٩٨١ «كيم جونغ تشول» وفي عام ١٩٨٤ «جونغ وونغ» قبل أن تموت بالسرطان في عام ٢٠٠٤، وان كان موت هذه المحظية كسابقتها، أحيط بالكثير من علامات الاستفهام، كونها بدت في صحة جيدا حتى آخر يوم من اختفائها. وتفيد التقارير السرية حول حياة الزعيم الكوري الخاصة أنه منذ عام ٢٠٠٤ اتخذ من سكرتيرته الخاصة منذ الثمانينيات «كيم أوك» كمحظية ثالثة.

آل كيم كتلة من الأسرار والغموض

وطبقا لمؤرخين كوريين، فإن أسرة «آل كيم» تعتبر كتلة من الغموض في سيرتها، سواء لجهة الأماكن والتواريخ الحقيقية لميلاد أفرادها، أو لجهة أسمائهم الأصلية وأماكن نشأتهم الأولى. على أن الأمر الأكثر غموضا هو ما تنتهي به حياة زوجاتهم. فعلى سبيل المثال تزوج «كيم ايل سونغ» مرتين: الأولى كانت من « كيم جونغ سوك» التي توفيت في ظروف غامضة وهي في مقتبل العمر أثناء وضعها لابنتها الثانية. والثانية من « كيم ايل سوك « في عام ١٩٥٢. على أن الزعيم المؤسس له الكثير من الأبناء غير الشرعيين بسبب تعدد علاقاته خارج إطار الزوجية وحبه للهو. وكثير ممن ارتبط بهن لم يعد لهن وجود أو ربما لا يتجرأن على التصريح بتلك العلاقات الخفية.

حدود الخروج عن السلطة في الاستخدام السياسي للإعلام بأوروبا

صفد الساموك

هل الإعلام في أعلى درجات الحرية والاستقلال في أوربا، للحد الذي لا يخضع فيه لنوازع السلطة، ويعمل بمنأى عن أية أجندة حكومية؟.

من حيث المبدأ.. فإن حجم المهام السياسية المعاصرة التي تتناولها وسائل الإعلام التقليدية، من صحف وإذاعات وقنوات فضائية، ومنظومات الاتصال التفاعلي في المجتمعات اليوم، عززت من الطروحات التي تؤكد على إن: تلك الوسائل هي ليست إعلامية فقط، وإنما أدوات سياسية أيضا، ذات علاقة اثر وتأثر متبادل، تتمحور في تأثير الممارسة السياسية على مستوى الدولة في هذه الوسائل، وتأثيرها في هذه الممارسة في اللحظة ذاتها.. إن النظام السياسي الحاكم، في المجتمعات الحرة، يبقى بحاجة إلى توضيح اختياراته في صنع القرارات السياسية للجماهير، وشرح سياساته العامة، من اجل أن يحظى بمساندتها لتحقيق هذه الاختيارات، مثلما إن الجماهير بحاجة لإبلاغ ردة فعلها.

شبكة تواصل فرنسية

وفي أوروبا.. فان وسائل الإعلام في المجتمعات المعاصرة حلت – بالضرورة – محل الطرق الأخرى في عمليات الاتصال السياسي التي تعد إحدى الوظائف الرئيسة للدولة الحديثة، بل هي تربط الشبكات الموجودة ببعضها وتنقل منتجاتها باستمرار، وفي بلد مثل فرنسا، فان الفاعلية السياسية لوسائل الإعلام، غالبا ما تقررها الطريقة التي يقيِّم بها الشعب مدى صدقية هذه الوسائل، وما إذا كانوا يعتقدون إنها ستخدم النظام السياسي أو تعيقه.. وكان من المعتاد أن تدعم الشركات ورجال الأعمال والأحزاب السياسية والحكومات الصحف، وعلى الرغم من ازدياد عدد السكان فقد شهد توزيع الصحف في فرنسا تراجعا منذ الحرب العالمية، وبحلول السبعينات كان التلفزيون قد حل محل وسائل الإعلام الأخرى كمصدر رئيس للإعلام السياسي، وبدرجة أعظم في فرنسا منه في ألمانيا أو بريطانيا أو حتى في الولايات المتحدة، ومع اقتراب انتخابات الرئاسة الفرنسية للعام ١٩٨٨ كان ٣٧٪ فقط ممن شملهم الاستطلاع للرأي يعتقدون انه يمكن للصحافة أن تؤثر على اختيارهم، مقابل ٦٢٪ أعطوا هذا الدور للتلفزيون.

وتمتلك الآن جميع الأسر الفرنسية أجهزة راديو وتلفزيون، ويقضي ٨٠٪ من المواطنين ثلاث ساعات أمام جهاز التلفزيون، وقد أشرت البرامج الخاصة بالأحداث السياسية الجارية زيادة كبيرة في معدلات البث خلال السنوات الأخيرة، وفي الظروف الاعتيادية، أي حين لا تكون هناك انتخابات في الأفق أو أزمة سياسية، تشغل هذه البرامج حوالي ثلث ما تعرضه قنوات التلفزيون الفرنسي.

وقد أصبح التلفزيون الفرنسي الوسيط الرئيس بين القوى السياسية والمواطنين الأفراد، وكان له تأثيره على المنظمات السياسية من خلال:. أصبحت الشخصية القادرة على تقديم أداء جيد في التلفزيون عاملا أساسيا في السياسة، وأصبحت الصورة والمشاهدة عوامل هامة في السياسة.

. ساعد التلفزيون على إعادة ترتيب القضايا السياسية، والاختيار من بين مجموعة كبيرة من المواضيع والمشاكل والقضايا التي تم تداولها بين القوى السياسية والاجتماعية، وإبرازها لجماهير المواطنين.

. أصبح التلفزيون الحلبة التي تدور داخلها الحملات الانتخابية الوطنية وحل بقدر كبير محل المهرجانات واللقاءات الجماهيرية الحاشدة.

اتصال محدود في بريطانيا

ويتطلب النموذج الليبرالي للسياسة الانكليزية تدفقا كبيرا من المعلومات بين الحاكمين والمحكومين، وانه كلما ازداد حجم المعلومات المقدمة عبر وسائل الإعلام، كلما كان معنى ذلك اطلاع أفضل للجمهور، وكانت السياسات أفضل، ففي هذا النموذج يكون من حق الجمهور أن يعرف، إلا إن نموذجا آخر (وايتهول) يعمل فيه ببريطانيا، يعتبر إن المعلومات السياسية سلعة نادرة، ويجب أن لا يتم تبادلها بحرية مطلقة، وتعد العلنية مكلفة لأنها قد تزعج المفاوضين الحكوميين مع مجموعات المصالح، على سبيل المثال.

وتمتلك هيئة الإذاعة البريطانية B.B.C شبكتين تلفزيونيتين، وأربع شبكات ومحطات إذاعية، فضلا عن محطات محلية في مختلف أنحاء المملكة المتحدة، وترخص لجنة التلفزيون المستقلة لأكثر من ١٢ شركة إقليمية، تشكل بمجملها شبكات تلفزيونية تجارية شعبية، بالإضافة إلى قناة للبرامج التلفزيون المتخصصة، وتعمل محطات الإذاعة التجارية المحلية تحت رعاية سلطة الإذاعة، ويعين مجلس إدارة الهيئة من قبل الحكومة القائمة، ولان المسؤولين عن الإذاعة لا يكونون واثقين بشأن من سيكون في السلطة عند تجديد رخصهم فان لديهم توجها قويا بأن لا ينحازوا إلى أي حزب.

ولا يتفق الإذاعيون في انكلترا، طبقا لجابريل إيه ألموند و جي. بنجهام باويل بخصوص الوقت الذي يجب تخصيصه لتغطية الأحداث السياسية، ووجهة نظر الإذاعة البريطانية التقليدية هي انه (موضوع مقدس)، وترى إن القضايا العامة مهمة وان السياسيين يستحقون الاحترام، فيما يعتبر معظم مشاهدي التلفزيون هناك إن هذه الوسيلة محايدة سياسيا، ولا يعتبر إن هيئة الإذاعة البريطانية متحيزة، سوى ٢٦٪، ولا يعتقد سوى ١٧٪ إن شركات التلفزيون المستقلة متحيزة، والأقلية التي تقول إنها متحيزة لا تتفق على تحديد الجهة التي تزعم إنها تفضله، حيث يرى نصفهم انه متحيز للمحافظين و النصف الآخر يرى انه متحيز للعمال.

وتؤكد العديد من تقاليد الحياة السياسية الانكليزية على ضرورة عدم تشجيع الاتصال السياسي عبر وسائل الإعلام، حيث انه غالبا ما يخفي السياسيون مداولاتهم بحجة المسؤولية الوزارية المشتركة، ويحدد قانون الأسرار الرسمية للعام ١٩١١ بدقة ما يمكن للسياسيين والموظفين المدنيين أن يفشوه من مناقشات بموجب نموذج (وايتهول)، فيما قلل تعديل القانون في العام ١٩٨٩ من نطاق المعلومات السرية التي لا يمكن نشرها دون تصريح مسبّق على أمور مثل الأمن القومي والدفاع والعلاقات الدولية، وقد وجهت مؤخرا انتقادات إلى (وايتهول) لان عدم الاتصال بين الحاكمين والمحكومين عبر وسائل الإعلام، يعد عقبة سياسية، ومنها أن لا يعرف رئيس الوزراء البريطاني عن صعوبات ما تقع داخل إحدى وزاراته، إلى أن يطرح عليه سؤال محرج في مجلس العموم، كما إن عدم الخوض في مناقشات عامة مبنية على معلومات مسبقة لبحث بدائل سياسية واتخاذ قرار نهائي بشأنها قد يتمخض عنه اتخاذ الحكومة للقرار مع جهلها برد الفعل الشعبي.

تاريخ ألماني طويل

ولوسائل الإعلام تاريخ طويل في ألمانيا، فقد انطلقت أول صحيفة وأول خدمة تلفزيونية في العالم من ارض ألمانيا، ومع ذلك وفي معظم الأحيان فقد خضعت وسائل الإعلام في ظل نظم سابقة لرقابة السلطة السياسية أو لاحتكارها، وأظهرت القومية الاشتراكية (النازية) مدى قوة الإعلام في التأهيل السياسي، وبعد الحرب العالمية مباشرة، ولأهمية وسائل الإعلام في الحياة السياسية العامة، لم تصرح قوات الحلفاء التي احتلت ألمانيا بممارسة الصحافة إلا للصحف والصحفيين الذين تأكدت من تحررهم من الارتباطات النازية، كما ضمن القانون الأساسي حرية الصحافة وغياب الرقابة، وتمخض عن هذا نتيجتان:

أ. جهود واعية لإيجاد تقاليد صحفية جديدة تلتزم بالقواعد الديمقراطية، وتكون هادفة ومحايدة سياسيا، وكان هذا الأسلوب الإعلامي الجديد بداية ابتعاد واضح عن الممارسات الماضية، كما ساهم في إعادة تشكيل الثقافة السياسية.

ب. النزعة الإقليمية لتوزيع الصحف، فالجمهورية الفيدرالية تفتقر إلى صحافة قومية عريقة مثل بريطانيا أو فرسا، وبدلا من ذلك فان لكل إقليم أو مدينة كبيرة صحيفة أو أكثر توزع بشكل أساسي في تلك المنطقة.

وتدير شبكات الإذاعة والتلفزيون اليوم مؤسسات عامة منظمة على مستوى الدولة الألمانية، وعلى الرغم من أن أعضاء هذه المؤسسات تعينهم حكومات الولايات المعنية، فان إن هناك اتفاقا على أن تبقى وسائل الإعلام متحررة من أية سيطرة حكومية، والمهمة الأساسية لوسائل الإعلام المعاصر هي تأمين مصدر للمعلومات والاتصالات تربط النخبة السياسية بالشعب، وتلتزم شبكات التلفزيون بقوة بالبرامج السياسية، فحوالي ثلث البرامج مكرس للقضايا الاجتماعية والسياسية،وقد أظهرت استطلاعات الرأي إن لدى الألمان رغبة كبيرة في اقتناء المعلومات السياسية التي تقدمها وسائل الإعلام، واظهر الاستطلاع إن ٨٨٪ من الألمان يشاهدون البرامج الإخبارية والسياسية في التلفزيون غالبا، وان الصحف هي ثاني أكثر مصادر الأخبار السياسية شيوعا، إلا أن لوسائل الإعلام دور ضئيل في غرس المعتقدات الجديدة، باستثناء بعض الأحداث المثيرة مثل فتح جدار برلين، فهو من اختصاص: العائلة، والمدرسة، والأصدقاء.. حيث إن الألمان مستخدمون واعون لوسائل الإعلام، ومطلعون على مجريات الأحداث السياسية.

اراء وافكار
Opinions & Ideas

ترحب آراء وافكار بمقالات الكتاب وفق الضوابط الآتية:
١. لا يزيد عدد كلمات المقالة على ٧٠٠ كلمة.
٢. يذكر اسم الكاتب كاملا ورقم هاتفه وبلد الاقامة ومرفق صورة شخصية له.
٣. ترسل المقالات على البريد الالكتروني الخاص بالصفحة:
Opinions112@ yahoo.com